

أصلح الطرق والمصروفات

(بقية) الدكتور مصطفى كمال - في

المستشار المساعد بمجلس الدولة

كان الدافع إلى الاكثار من الخلفاء في الطريقة بدون أى داع هو مشكلة تمويل الطريقة وزيادة قوتها المالية عن طريق كثرة المنضمين إليها .
ولذلك لم يكن لنا الحب قد أسرى إلى الطرق تدريجياً وعلى مر السنين .
فالملاحظ أن المنضم إلى الطريق أو من ينال رتبة فيه ، يكون عظيم الشكر والامتنان ويخرج بطبيعته إلى أن يقدم صدقة يبرئها عن شكره وامتنانه ، وذلك شأن الإنسان في جميع مواقف سروره وارتياحه إذ يميل وقتئذ إلى البذل وإلى أن يشاركه الغير سروره .
ولذلك يتطوع الخليفة الجديد عند منحه الإجازة إلى تقديم شيء على سبيل متاركة فتراث الطريق وعلى سبيل النجدة للطريقة التي صار من أصحاب الرتب فيها .
وعلى مر السنين أصبحت هذه البادرة عادة أصبحت أمراً مجبوراً . بحيث يكاد يتسدر أن يتخلف عنها أى شخص قادر على بذلها .

وبذلك أصبح هناك مورد شبه دائم للطرق عن طريق ما يقدم بمناسبة

صرف إجازات الخلافة .
وعلى مر السنين تكاثرت الخلافات واختفى من الاعتبار أن يكون الشخص قد تربى تربية صوفية كافية ، وحل محله اعتبار جديد ، وهو إنقاذ المورد المالى للطريقة بواسطة ما يسمى شكل . وإيجاد من يساهم في نفقاته الباهظة المستمرة .
وأنى أقرر بما أشعر به وهو أن القائمين على الطرق يخرجون في اتجاه هذا النحو فهم يتفادون بذلك أن يحرق بهم الخراب المالى ، وأن تتلاشى أموالهم الخاصة . مهما كانت كثيرة . تحت إلحاح حاجات الطريق التي لا تنقطع ، أو أن تنقضي الطريقة وينفض منها المريدون ولا شك في أنها عزيزة عليهم .
وبحت وطأة هذه الظروف القاهرة ، استتب الوضع الجديد في كثير من الطرق وأصبح مألوفاً .
وهذا الوضع نفسه هو الذى أدى إلى مختلف العيوب التي نشاهدها في الطرق والتي تنحصر فيما يلي :

١ - الاعتراف بطائفة كبيرة من الجملة الذين لم يتلقوا أى تلقين صوفى .

كمرشددين ومربين لغيرهم . فهو لاهم .
السبب في كثير مما نتعفف عن ذكره .

٢ - ظهور كثير من البدع والانحرافات
وتفشي روح الكبرياء بين هذه الطبقة
بسبب عدم أعدادهم العسوف .

٣ - ابتعاد الطبقة المذهبة المثقفة
التي ينتظر منها الخير والتي تستند على
الإصلاح . ولا شك أن في بلادنا الكثيرين
ولكنهم لا يجرؤون على الظهور حتى
لا يعتبر ذلك منهم رضا عن الوضع
العام وحتى لا يقرن اسمهم بـ "المرتب"
الناس على اقتفاده .

٤ - خروج المشايخ عن وظيفتهم
الأساسية وهي التربية والإرشاد ، إلى
وظيفة جديدة هي تجالبة هذه العناصر
الفاسدة وأخذها مرة بالحيلة وأخرى
بالشدّة ، والتدخل في المنازعات التي
تفشأ بينهم ، ثم لا يلبث الشيخ نفسه
أن يصيبه رزاز من اعتراضات هؤلاء
الناس ونكالاتهم فيضطر إلى أن يتخذ
نفسه بقاءه ، يدفع عن نفسه عدوان
هؤلاء المنضمين للطريق ، والذين لا مناص
له من الاحتكاك بهم . سواء كانوا من
أبناء طريقه . أو من أبناء طريقة
أخرى فيظهر من التصرف على أنه تناوأة
وتحزب في سبب .

٥ - تنكاثر النهم على الطرق ، وكثرة
العداء الموجه لها مما جعلها تنحرف في نفسها

بعدم العطف عليها والانسجام بينها وبين
كثير من الهيئات بفعل ذلك مهمتها
صعبة وجعل للميسدان الذي تعمل فيه
شاقا عليها مشحونا بمواقف الخذلان
والعداوة والجهل والافتقار بها .

وبذلك نفس هذا المرفق إلى حد
بعيد وأصبح غير قادر على مجابهة أعباء
و -

٣ - خطلة الإصلاح

ومن هذا ترى أن بيت الداء هو
ما تعانيه الطرق من عسر مالي تعجزها عن
مواجهة احتياجاتها الدائمة المضطردة .
والواقع أن السبب في ذلك هو
نقص النظام القانوني . فهو الذي ترك
الطرق الصوفية بلا معونة ، ولم يمد لها
يده ، وأقبل على مختلف التشكيلات
والهيئات بفضيحة ويسير حسب كيفية
المسؤول على مالها وكيفية جمع ما تناء
من أموال ولها - تبيل الرقابة المعقولة
والإرشاد من جانب وزارة الشؤون
الإجتماعية أو غيرهما وهي رقابة لا تتوق
تتبع عمل الهيئات ولا يمكن أحسنها فهمها
على أساسها .

فالمؤسسات والجمعيات الخاصة وذات
النفع العام والنقابات وكافة صور النظم
والهيئات التي تعمل لغرض عام ينظمها
القانون وينظمها ويهيئ لها وسائل
حصولها على موارد دائمة ظاهرة مأمونة
لا تقل فيها ولا تنقص . إلا الطرق
الصوفية فقد أهمل القانون شأنها فبقيت
في حيرة من أمرها تعاني أعباءها الواسعة
في بنائهم والعداوات الجديدة التي
تضاف إليها كل يوم والعقبات
التي ما تمكاد تتخلص من واحدة منها
حتى تواجه بدل الحقيقة عديد ومزبد من
العقبات . وفي كل يوم ينضم إلى معسكر
المعاندين والمستعززين والمناوئين كثيرون
وفي كل يوم تزداد أخطاؤنا وتطول
قائمة حسابنا والنهائية المحتومة أننا لن
نواجه الحياة بعد ذلك ولن نستطيع
تسريع وسائلنا (إلا إذا أقبلنا على
الإصلاح واستبقناه وعرفنا أن فيه
حياتنا واستمرارنا .

والقد فكرنا طويلا (أنا وإخواني
في الطريقة التي أنتهي إليها في طريق
الإصلاح فوجدنا أن البداية هي
أن نكون لهم في البداية نقطة ثابتة
نبدأ منها ونسير منها إلى الأمام

الدائمة الثابتة . وأن يكون على هذه
المالية رقابة كافية من الدولة ، وأن تجمع
أموالها بوضوح وفي النور كما تصرف
بوضوح وفي النور أيضا .

وقد علمت أن هذا التفكير قد وجد في
طرق أخرى كالطريقة البيومية والطريقة
القيمية وغيرها وبعضها أخرجه
فعلا في بعض الصور

وقد رأيت وإخواني أن صياغة
مالية الطريقة في هيئة جمعية خيرية يمكن
مؤقتا لتحقيق هذا الهدف . وكان في
تشجيع شيخ الطريقة الرفاعية التي
اتشرف بالانقساب لها وسعة افقه .
وصادق رغبته في الإصلاح - خير معين
على تنفيذ هذه الخطة . فهذه الجمعية
تكفي لمواجهة النقص الذي نحن بهصدده
وتسد الثغرة التي خلفها القانون في البناء
الصوفي وتزجج عليها تقهره وأهزان
أركانها . ويمكن القول بأن التعاريف
الأولى تسفر عنه الحمد عن نجاح قام من
حيث استجابة أبناء الطريقة لهذه الوسيلة
الجديدة وأطمعناهم واستبشارهم إليها
ولم يكن كانت الجمعية لم تبدأ بعد كامل نشاطها
فهو في طور التنظيم والاعداد ، إلا أن
القليلة التي قامت بها كانت تعمل أروع

واستبشار من رجال الطريقة وبذلك
أعتقد أن التصوف يدخل في عهد جديد
من النور والتنظيم ويستطيع أن يجابه
أعداءه الكثيرة ويتقدم طامعا في ميدان
البناء الاجتماعي كما يساهم في النهضة
الشاملة التي عمرت البلاد .

وأعلم أن مشيخة الطرق الصوفية
تفكر الآن في إصدار لائحة جديدة
لتنظيم الطرق الصوفية، ولا تعلم خطوطها
الرئيسية - ولكننا نأمل في أن تضع
نظام التصوف في وضعه اللائق بين
الهيئات ذات السكبان القانوني، وأن
تنظم نشاطها تنظما يجعل بينها
وبين سائر النظم القانونية في البلاد
انسجاما وأرتاطيا يسهل لها عملها
ويجعلها قادرة على متابعة أغراضها .
ولعل قد أشرت في البداية إلى أن
التصوف يعتبر خدمة عامة ومرفق من
المرفق الهامة للبلاد ، وأن مجالس
الدولة في أحكامه قد عني ببيان أن

مشيخة الطرق الصوفية تقوم بمهمة إدارية
من نفس النوع الذي تقوم به الحكومة
فواحبذا لو أن هذه الطريقة أخذت
مأخذها في التعديل الجديد وعمل مساهمة
فيما يوضع من أحكام .

ولما أكرر الأمل في نشاط السيد
شيخ مشايخ الطرق الصوفية وصادق
عزمته وتحمزه الإصلاح ، وفي حسن
استعداد مشايخنا الصوفيين من أعضاء
المجلس الصوفي الأعلى ، كما أن لنا الأمل
في حسن تقدير حكومة الثورة لهذه
الانتفاضة الصوفية ، والرغبة الصادقة
التي تبديها طائفة كبيرة ، من الأمة
نحو امتصالح نفسها ، وعهدنا بها
تساعد كل راغب في الإصلاح على
بلوغ مناه .

والحمد لله رب العالمين .

مصطفى كمال رشدي الرضاوي

مستشار مساعد بمجلس الدولة